محضر الجلسة 357

التاريخ: السبت 14 شعبان 1424 (11 أكتوبر 2003)

الرئاسة: السيد عبد الواحد الراضي، رئيس مجلس النواب

التوقيت: ساعة وثلاثون دقيقة ابتداء من الساعة العاشرة صباحا.

جدول الأعمال:

الاستماع إلى خطاب فخامة الرئيس جاك شيراك رئيس الجمهورية الفرنسية بمناسبة زيارته للبرلمان.

عقد البرلمان بغرفتيه، مجلس النواب ومجلس المستشارين، جلسة مشتركة صباح يوم السبت 11 أكتوبر 2003، الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة عشرة، خصصت للاستماع إلى خطاب فخامة الرئيس جاك شيراك، رئيس الجمهورية الفرنسية.

في البداية ألقى السيد رئيس مجلس النواب الأستاذ عبد الواحد الراضي كلمة رحب فيها بضيفه الكبير، أعقبه خطاب السيد جاك شيراك باللغة الفرنسية، (وتوجد ترجمته باللغة العربية في ملحق مرفق هذا المحضر) واختتمت الجلسة بكلمة السيد عبد الواحد الراضي جدد فيها شكره للرئيس الفرنسي على خطابه الودي وعلى زيارته للبرلمان المغربي، مؤملا أن تشكل هذه الزيارة مرحلة جديدة في تعزيز روابط الصداقة النموذجية التي تجمع الشعبين المغربي والفرنسي.

وفي ما يلي محضر بوقائع هذه الجلسة:

السيد عبد الواحد الراضي رئيس مجلس النواب:

بسم الله الرحمن الرحيم. والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

فخامة رئيس الجمهورية الفرنسية،

سيدتي،

السيد الوزير الأول،

السيدات والسادة الوزراء، وأعضاء الوفد المرافق للسيد رئيس الجمهورية الفرنسية،

السيدات والسادة البرلمانيين ،

السيدات والسادة ،

اسمحوا لي، فخامة الرئيس، باسم جميع أعضاء مجلس النواب وأعضاء مجلس المستشارين، أن أرحب بكم وبالسيدة شيراك والوفد المرافق لكم في مؤسستنا.

فخامة الرئيس ،

إنها لسعادة عارمة وفخر كبير أن يستقبلكم أعضاء برلمان المملكة المغربية باعتباركم صديقا كبيرا للمغرب في هذه المؤسسة، رمز ديمقراطيتنا التي اختارها المغرب نهجا وضع أسسه جلالة المغفور له الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه، وعززه صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله.

وقد شكل الخطاب الملكي أمس في افتتاح السنة التشريعية الحالية فرصة أخرى للتأكيد على الإرادة القوية للمملكة المغربية في بناء المجتمع الديمقراطي الحداثي والمتضامن، وذلك من خلال العمل على النهوض بأوضاع المرأة وإنصافها، وتعبئة الجماعات المحلية لخدمة التنمية ومواصلة تنفيذ برنامج إصلاح نظام التربية والتكوين، وتعزيز أسس النظام الديمقراطي المتمثل في الأسرة والمدرسة والجماعات المحلية.

فخامة الرئيس، إننا نحيي من خلالكم عبقرية الشعب الفرنسي الصديق، الذي أعطى الكثير من أجل تقدم البشرية، سواء في مجالات العلوم والمعارف، أو في الدفاع عن حرية والديمقراطية وحقوق الإنسان. (تصفيقات).

إن فرنسا، الوفية لنفسها ولمثلها العليا تدافع اليوم بشجاعة واقتناع عن الشرعية الدولية، وعن عالم متعدد الأطراف وضعت أسسه المجموعة الدولية بمثابرة منذ 1945، من أجل ضمان المساواة والديمقراطية في العلاقات بين الأمم.

فخامة الرئيس،

إذا كانت فرنسا باعتبارها أحد ركائز البناء الأوروبي فإنهالم تتخل عن واجب التضامن من أجل تحقيق الرخاء المشترك بين ضفتي حوض البحر الأبيض المتوسط. وفي هذا الإطار فإننا نحيي المبادرة الهادفة إلى تحويل المنتدى البرلماني الأورومتوسطي الذي يترأسه المغرب، إلى جانب رئيس البرلمان الأوروبي، إلى جمعية برلمانية أورومتوسطية، ونتطلع إلى الدور الفعال الذي ستقوم به فرنسا في هذا التوجه، والذي يرمي إلى إعطاء دفعة جديدة لمسلسل برسلونيا. وفي عالم معرض للاهتزاز في مرحلة الانتقال من قرن إلى آخر، وممزق بالنزاعات التي تهز مختلف القارات، تعمل فرنسا بكل قواها من أجل إرساء السلم حيثما استطاعت ذلك، وخاصة في إفريقيا والشرق الأوسط، حيث تدعم المطالب المشروعة للشعب الفلسطيني في إقامة دولة حرة ومستقلة على كامل ترابه. (تصفيقات).

فخامة الرئيس،

إن الشعوب العربية والإسلامية لن تنسى أبد زيارتكم إلى القدس، والشجاعة التي قدمتم بها دعما سياسيا

وأخلاقيا للقضية العادلة لهذا الشعب المهان، المقموع، منذ أكثر من نصف قرن.(تصفيقات).

لقد عارضت فرنسا، تحت قيادتكم، عن اقتناع، أمام عالم معجب بذلك، الحرب على العراق، وتواصل مع حلفائها الدفاع عن وحدته وسلامة ترابه واستقلاله وسيادته. (تصفيقات).

ومن جهته لن ينسى الشعب المغربي ما تبديه فرنسا من تفهم ثابت وواضح لقضية وحدته الترابية . كما لن ينسى دوركم الشخصي، فخامة الرئيس، في جميع المحافل، وفي كل الظروف، من أجل دعمه في قضيته العادلة هذه .(تصفيقات).

إن فرنسا التي تعتبر الشريك الأول للمغرب في مختلف المجالات، تقيم مع بلادنا تعاونا نموذجيا، متعدد الأبعاد والمجالات، ومفيدا للبلدين الذين نجحا المغرب في نسج علاقات متميزة في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والبشرية.

لقد ساهمت الجالية المغربية المقيمة بفرنسا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، حيث تحظى بحسن الضيافة، بشكل كبير وبفعالية في إعادة بناء فرنسا وتنميتها وازدهارها. كما أن مزدوجي الجنسية يشكلون مع هذه الجالية أداة وصل متينة وضمانة لاستمرارية حسن علاقاتنا.

فخامة الرئيس،

إن المغرب، الدولة العريقة ملكية دستورية ديمقراطية واجتماعية منذ الاستقلال، تجمع بين الشرعية التاريخية والشرعية الديمقراطية.

لقد تشكلت هوية الشعب المغربي على مدى قرون، مستلهمة أصالتها من مرجعياته الثقافية المتعددة. ولقد احتك الشعب المغربي المنتمي أساسا إلى الحضارة العربية الإسلامية والحضارة الأمازيغية الإفريقية، وتفاعل، وتعايش، في انسجام، مع الحضارة الإغريقية الرومانية الكبرى، والحضارة اليهودية المسيحية، التي نقيم معها منذ زمن طويل، إلى يومنا هذا، أحسن علاقات الشراكة في إطار الفضاء الأرو- متوسطي وخارجه.

إن هذه العوامل هي ما يفسر انفتاح الشعب المغربي على الحوار، كما تفسر تشبثه بالتسامح، وحسن الاستقبال، والسلم، والحرية، واحترام الآخر، في انتماءاته ومعتقداته واختياراته مهما كانت طبيعتها.

إن هويتنا، وشخصيتنا، التي تشكلت على مدى قرون، غير قابلة للاهتزاز بفعل ظواهر ظرفية ناجمة عن الأزمة التي تجتازها البشرية في هذه المرحلة الانتقالية من قرن إلى قرن.

إن المغرب اليوم عازم كل العزم، تحت القيادة الحكيمة والمتبصرة لعاهله جلالة الملك محمد السادس نصره الله، على مواصلة جهوده في طريق التنمية من أجل تلبية حاجيات وتطلعات شعبه، بدعم من شركائه وأصدقائه الذين يعتبر بلدكم العظيم من بينهم.

فخامة الرئيس،

إن التشريف الذي تخصصونه اليوم لبرلماننا بزيارتكم، سيساهم -دون شك- في تعزيز الصداقة والاعتبار والتقدير المتبادلين اللذين يجمعان شعبينا ومسؤوليهما، وعلى رأسهم أنتم فخامة الرئيس وصاحب الجلالة الملك محمد السادس.

اسمحوا لي فخامة الرئيس أن أجدد مرة أخرى الترحيب بكم وبالسيدة الرئيسة وبأعضاء الوفد المرافق لكم .

واسمحو لي فخامة الرئيس أن أدعوكم إلى التفضل إلى المنصة، قصد مخاطبة أعضاء برلمان المملكة المغربية، كما أدعوكم السيدات والسادة النواب والمستشارين إلى الوقوف تحية تقدير وإجلال لضيف المغرب الكبير ولاستمرارية العلاقات الفرنسية المغربية.(تصفيقات).

(الجميع وقوف تقديرا وإجلالا لضيف المغرب الكبير مع تصفيقات حارة تعبيرا عن التحية).

فخامة الرئيس جاك شيراك رئيس الجمهورية الفرنسية:

Monsieur le Premier Ministre,
Monsieur le Président de la Chambre des Représentants,
Monsieur le Président de la Chambre des Conseillers,
Mesdames et Messieurs les Conseillers de Sa Majesté,
Mesdames et Messieurs les Ministres,
Mesdames et Messieurs les Parlementaires,

Tout d'abord, je veux exprimer devant vous au peuple marocain et à son souverain, Sa Majesté Mohammed VI, ma très profonde gratitude pour l'accueil exceptionnel que m'a réservé le Maroc. C'est la France tout entière qui est honorée et c'est l'amitié entre nos deux pays

le respect mutuel, la volonté de se comprendre et l'esprit de partenariat. Une relation fondée aussi sur l'affection que nous, Français, profondément marqués par votre pays, portons à cette terre magnifique, à ses hommes fiers, à ses femmes courageuses. De cette relation, vos aînés avaient ouvert la voie, en allant sur la terre de France combattre la barbarie et se sacrifier au nom de la liberté. Je veux ici rendre hommage à tous ces anciens combattants, Goumiers, Tirailleurs et Spahis qui ont écrit(applaudissements)... qui ont écrit l'une des pages les plus glorieuses de notre histoire commune.

C'est donc en ami du Maroc, et au nom du peuple français, frère du peuple marocain, que je viens ici vous faire part de ma conviction et apporter le soutien de la France dans la voie que s'est choisie le Maroc.

Votre Assemblée, qui réunit des femmes et des hommes attachés au bien public et dépositaires de la légitimité que leur confère l'élection au suffrage universel. Votre assemblée est aussi l'expression d'un temps nouveau.

Les élections de septembre 2002 ont apporté, dans la transparence, la preuve que la démocratie se mérite et se gagne par la détermination à surmonter les obstacles qui se dressent sur les voies de la réforme (Applaudissements)... Je salue la volonté de Sa Majesté le Roi Mohammed VI qui, s'appuyant sur l'œuvre de son illustre père, Sa Majesté le Roi Hassan II, et sur la Constitution marocaine, a ouvert avec courage une nouvelle page de la longue histoire de votre grand pays.

Cette voie nouvelle est exceptionnelle à plus d'un titre. Elle pose les fondations d'une construction prometteuse, qui ne surprendra pas ceux qui vous connaissent bien. Votre histoire abonde en temps forts, riches d'échanges, parfois de confrontations, dans les villes impériales, dans les montagnes de l'Atlas, dans les étendues du Sahara. Toujours, vous avez été exposés aux vents du changement et aux combats politiques. Vous ne découvrez pas l'idée de la démocratie. Vous la pratiquez et la réinventez sans cesse, car qui se trouve, une fois encore, célébrée avec éclat.

J'ai gardé dans mon cœur le souvenir précieux de ma visite d'Etat au Maroc en juillet 1995, c'était la première visite que j'ai tenue à faire au début de mon premier mandat. Je me rappelle avec émotion les égards exceptionnels qu'avait eus pour moi Sa Majesté le Roi Hassan II -que Dieu l'ait en Sa Sainte garde-. Aujourd'hui, c'est la même chaleur, la même joie de nous retrouver, la même proximité du cœur et de l'esprit, la même conviction qu'entre nos deux pays, rien ne sera jamais banal ou circonstanciel. Qu'au-delà du temps, au-delà des grands mouvements qui parcourent le monde, il y a l'amitié unique et intangible entre le Maroc et la France. (Applaudissements)...

Un sentiment, une conviction que renforce encore, Mesdames, Messieurs, votre invitation à venir m'adresser à vous qui êtes les élus du peuple marocain, invitation dont je vous remercie de tout cœur, et à laquelle j'ai été profondément sensible. Pour la première fois, un Président de la République française a l'honneur de s'exprimer à votre tribune. A un moment particulier, à l'heure où votre pays, sous la conduite avisée de son souverain, engage une transition politique et sociale sans précédent.

Mesdames et Messieurs les Parlementaires,

Le Maroc et la France ont une histoire commune. Nous avons été présents sur votre sol, engagés, comme d'autres nations européennes, dans le mouvement d'expansion coloniale. Puis vint la lutte pour l'indépendance, que ce grand et noble Souverain que fut sa Majesté le Roi Mohammed V conduisit, avec autant d'intelligence et de dignité que de détermination. Longue et complexe confrontation, au terme de laquelle le Maroc retrouva la maîtrise de son destin, mais sans que l'amertume ou l'esprit de revanche vienne compromettre l'essentiel. (Applaudissements)...

Depuis 1956, nous avons réussi à construire une relation particulière inspirée par

éclatant à ceux qui considèrent qu'il est des cultures, des peuples,des régions réfractaires à la démocratie (applaudissements)... La démocratie ne se décrète pas, elle ne s'importe pas, car elle est une création continue et patiente, fruit d'une volonté partagée de forger une société nouvelle et de la faire vivre dans la justice et dans le progrès. Elle s'enracine dans la capacité des esprits à accepter et conduire le changement. Elle se nourrit autant de valeurs universelles que du regard particulier que chaque pays porte dans le miroir de son histoire.

Le Maroc le fait sans complexe, et sa singularité en manifestant deux volontés permanentes : dialoguer avec l'Occident, rechercher la modernité dans la fidélité à ses traditions.

Grâce à la sagesse de ses souverains, à l'excellence de ses élites, le Maroc a établi et maintenu une relation apaisée avec d'autres mondes. Certes, tout ne s'est pas fait sans violence et sans heurts. Mais, au bout du compte, il a substitué aux antagonismes d'hier une entente précieuse qui me permet aujourd'hui de m'exprimer devant vous dans cette langue française que nous partageons aussi. (Applaudissements)...

Cet esprit d'ouverture, cette capacité d'intégrer les apports extérieurs, c'est sans doute dans l'héritage d'Al Andalous qu'il faut en chercher la source. Ce foisonnement comparable à l'éclosion de la Renaissance, transmis par des exilés glorieux, des voyageurs curieux, a développé chez vous ce goût de la controverse théologique, de la recherche mathématique, de l'art de la médecine, qui constitue l'apport du Maroc à la culture et aux valeurs universelles. C'est votre réponse à ceux qui tentent de dresser l'un contre l'autre, en un conflit inexpiable, l'Occident et, des îles de la Sonde au Maghreb, ce vaste espace dépositaire de l'héritage du Prophète. C'est votre réponse à ceux qui tentent de détourner son message fraternel et pacifique en arme de guerre. Ici moins qu'ailleurs, je ne puis croire au conflit des civilisations. (Applaudissements)...

votre héritage berbère, arabe, andalou, africain, vous donne une culture innée du pluralisme. Elle a marqué votre cheminement, accompagné depuis toujours par de grandes figures. Je pense, bien sûr, au Sultan Mohammed V, mais aussi aux grandes personnalités du mouvement national. Ces figures historiques ont aujourd'hui des héritiers, qui animent votre vie politique avec le souci d'une responsabilité collective tournée vers la paix civile et vers le dialogue.

Dès la 1ère Constitution qui a suivi l'Indépendance, le monopartisme a été interdit, les libertés fondamentales ont été promues et l'initiative privée a été favorisée. Sachons aujourd'hui rendre hommage au courage et à la clairvoyance qui inspirèrent à Sa Majesté le Roi Hassan II un choix alors si singulier,mais aussi si visionnaire. A cette tradition s'ajoutent, désormais, l'esprit de citoyenneté et une volonté d'avancer ensemble vers la réforme. Je salue votre engagement et le souci de consensus qui a permis une transition sans heurts, dans le respect des idées et des combats de chacun.

J'apporte le soutien de la France bien sûr à cette évolution, qui traduit votre confiance en vous et en l'avenir. L'expression libre d'une vision nationale commune, appuyée sur une identité forte, est la meilleure réponse qu'un pays puisse apporter aux nécessités de sa transformation intérieure et aux défis d'un monde en grand changement.

Je me réjouis qu'en ce début de siècle, quand tant de nations se déchirent, le Maroc offre l'exemple d'un pays aux traditions bien ancrées, façonnées à la fois par l'Islam et par l'esprit d'ouverture. D'un pays capable d'affronter, avec la confiance que donne un destin indépendant, les épreuves du renouveau. C'est ainsi, en puisant dans leur histoire et dans leur génie national, que les peuples peuvent le mieux relever le défi de l'adaptation et de la transition.

Terre de tolérance, monarchie aux racines populaires profondes, nation ancienne éprise de progrès, le Maroc apporte un démenti

comportements. Avancez résolument dans la voie de votre liberté.

Mesdames et Messieurs les Parlementaires,

Sur cette terre marocaine, je pense aussi à l'ensemble du monde arabe, éprouvé dans son âme, dans sa sensibilité la plus profonde, par les drames du conflit israélo-palestinien et par la situation en Irak. Au-delà des souffrances que connaît la région, la France et l'Europe veulent, de toute leur solidarité active, l'accompagner sur le chemin de la paix et de la sécurité, de la liberté et de la prospérité. Le partenariat euro méditerranéen rapproche nos destinées, approfondit notre coopération, inscrit notre relation privilégiée dans la durée. Il est notre horizon commun, l'avenir des femmes et des hommes de nos pays.

Ce partenariat doit aussi soutenir, par le dialogue, les efforts de consolidation de l'Etat de droit qui se développent au sud de la Méditerranée, de Rabat à Amman. L'espace euro méditerranéen tout entier trouvera sa pleine signification autour des valeurs de la démocratie et des droits de l'Homme, dans le plein respect et l'épanouissement des traditions et des cultures nationales. Quand la France et l'Union européenne appuient la démarche marocaine d'ouverture politique, ou bien les processus électoraux au Machrek, elles ont aussi à l'esprit l'avenir de toute la région. Mais cet effort ne portera ses fruits que s'il est pleinement assumé par les forces vives des sociétés et si celles-ci trouvent en elles-mêmes la volonté d'exercer leur liberté dans la responsabilité.

Mesdames et Messieurs les Parlementaires,

Lorsque le Maroc est frappé, la France souffre avec lui(applaudissements)... Le 16 mai 2003, à Casablanca, le terrorisme a tué et blessé des innocents, Marocains, Français, d'autres encore. Aux victimes; à leurs familles, à leurs proches, au peuple marocain tout entier, je tiens aujourd'hui à redire l'émotion et la solidarité de la France. Ce jour là, un crime a été perpétré contre la société marocaine, contre ses

Vous savez concilier votre héritage et les nécessités du monde moderne. Dans un cadre démocratique renouvelé, la société civile doit maintenant apporter son concours à l'expression des aspirations de chacun, à l'émergence des talents de tous. Vous avez engagé un combat déterminé pour promouvoir l'égalité entre hommes et femmes, l'accès au savoir, à la santé, au bien-être. Hier, ici même à cette tribune, vous avez entendu Sa Majesté le Roi Mohammed VI vous présenter avec lucidité et courage une réforme qui constituera une avancée considérable pour la société marocaine et La France ne peut que saluer la sagesse avec laquelle cette réforme a été conçue et conduite. Pour la première fois de l'histoire de la démocratie marocaine, votre Parlement sera sollicité sur un sujet d'une telle ampleur.

Le travail législatif est source normative de la vie des nations et du statut des citoyens. Le Maroc peut inspirer quiconque cherche à savoir comment, dans une société moderne, faire vivre en harmonie la Religion et l'Etat, la Religion et la "Cité terrestre". C'est là toute l'essence du rapport entre le Politique, le pouvoir séculier et la religion. Pour la France, attachée vous le savez de façon indéfectible à la laïcité et qui abrite une population musulmane importante, votre expérience est capitale. Je vous demande en retour de considérer aussi la nôtre. Dans un monde qui s'interroge avec angoisse sur l'irruption du fanatisme religieux, votre savoir-faire sera observé et médité dans le monde entier.

Cette quête difficile d'équilibre, qui s'étonnera que vous en soyez les pionniers ? Deux de vos dynasties les plus glorieuses, les Almoravides et les Almohades, sont nées du creuset brûlant du désert et de la prédication. Votre monarchie, symbole de l'unité et de l'intégrité du Royaume, est héritière du Prophète. Il est dans l'ordre des choses que vous apportiez une contribution historique à cette œuvre de modernité essentielle pour l'harmonie et la paix du monde. Soyez audacieux, vous qui êtes un peuple sage. Ne permettez pas au fanatisme et à l'enfermement de brider les consciences et les

transformation du pays, déjà bien engagée. La mise en œuvre courageuse de la Charte de l'Education, l'action en profondeur dans le domaine de la formation professionnelle, vous permettront de réussir le passage vers une économie à forte valeur ajoutée, en libérant les énergies et en exprimant ce potentiel singulier qui vous a permis d'édifier, à travers les siècles, votre fabuleux patrimoine. Le Gouvernement, dirigé par M. Driss Jettou, s'atèle avec autorité et compétence à cette tâche exaltante et difficile.

Réussir l'arrimage à l'Europe, option que vous avez prise en toute responsabilité, corriger les disparités sociales, mettre à niveau les infrastructures, sont autant de chantiers qui exigent courage, détermination et j'ose le dire esprit de sacrifice pour les générations futures. Vous avez choisi le bon cap sur cette route longue et semée d'embûches qui vous mènera vers l'objectif du développement durable. L'accord d'association conclu avec l'Union européenne constitue, à cet égard, je le pense, une chance pour votre pays, comme pour l'Union.

La France et l'Europe veulent vous accompagner sur cette route. Face aux défis et aux contraintes, sachez que vous n'êtes pas seuls. Vous faites partie, avec nous, au carrefour de l'Afrique et de l'Europe, de la Méditerranée et de l'Atlantique, de cette communauté des nations modernes éprises de paix et de liberté. Nous verrons ensemble se lever une aube nouvelle dans cet « Occident du monde » où vient se reposer le soleil.

Mesdames, Messieurs, je vous remercie.

(Applaudissements)...

traditions, ses valeurs, ses idéaux. Ce jour-là, ce sont l'idée que vous vous faites de vous-même, de votre avenir, et l'exemple que vous donnez au monde qu'on a voulu abattre. (Applaudissements)...

Soumis à une épreuve que d'autres, depuis longtemps -en Europe, en Algérie, votre voisin, ou ailleurs- traversent avec douleur et courage, votre réaction a été admirable. Un immense sursaut national a montré que le Maroc entendait faire front. Vous avez décidé de combattre le terrorisme sans merci, mais sans que le cap démocratique de votre société ne soit modifié, ni les droits de l'Homme oubliés. Vous savez qu'agir autrement serait faire le jeu de l'adversaire. Je partage entièrement votre choix de combattre le terrorisme par une politique implacable de démantèlement de ses réseaux, mais aussi par une action inlassable de proximité sociale, action que vous avez engagée et que bien sûr la France soutient activement.

Le terrorisme ne doit pas non plus trouver dans un dévoiement religieux venu d'ailleurs les ressorts de sa sinistre expression. Sa Majesté le Roi Mohammed VI a rappelé que votre marche vers la démocratie libérale, appuyée sur votre identité religieuse propre, sera votre meilleure défense contre les assauts de ces ennemis fanatiques et aveugles. Je vous dis ma confiance dans l'aboutissement de ce combat, qui n'est pas seulement le vôtre, mais celui de tous.

Mesdames et Messieurs les Parlementaires,

Depuis le début de votre législature, vous avez déjà accompli un travail considérable. Vous avez voté des lois fondatrices, élargissant le travail de vos prédécesseurs, dont celui de M. Youssoufi, artisan en son temps d'une alternance réussie, première étape de la réforme politique. Mais les défis de votre société sont immenses.

Une jeunesse nombreuse et impatiente frappe aux portes de la vie active. Elle ne demande qu'à apporter sa part à la

السيد عبد الواحد الراضي رئيس مجلس النواب:

فخامة رئيس الجمهورية الفرنسية،

أعتقد أنني سأكون أمينا وصادقا إن أكدت نيابة عن أعضاء برلمان المملكة المغربية أن خطابكم، ولد في قلوبنا وعقولنا على غرار جميع المغاربة، مزيدا من الصداقة ومزيدا من تشبث شعبينا أحدهما بالآخر، وعزز إرادتنا في العمل من أجل مستقبل أفضل للعلاقات التي تجمع بلدينا.

ونغتنم هذه المناسبة، فخامة الرئيس، لنجدد لكم التزام البرلمان المغربي بالعمل، بعزم، على تعزيز وتطوير علاقاتنا، ومن أجل أن تكون هذه العلاقات مفيدة لنا جميعا.

فخامة الرئيس،

اسمحوا لي، أن أعرب لكم عن شكري على زيارة برلمان المملكة المغربية وعلى الخطاب الودي والحكيم والمتبصر الذي تشرفتم بإلقائه أمام أعضاء البرلمان المغربي، ومن خلالهم مجموع الشعب المغربي.

أتمنى لكم، فخامة الرئيس، مقاما طيبا بين أصدقائكم الذين يأملون أن تشكل زيارتكم مرحلة جديدة في تعزيز روابط الصداقة النموذجية التي تجمع شعبينا.

شكرا لكم فخامة الرئيس.

(تصفيقات...)

ترجمة خطاب السيد جاك شيراك،
رئيس الجمهورية الفرنسية
أمام البرلمان المغربي

السيد الوزير الأول،
السيد رئيس مجلس النواب،
السيد رئيس مجلس المستشارين،
السيدات والسادة مستشارو جلالة الملك،
السيدات والسادة الوزراء،
السيدات والسادة أعضاء البرلمان،

أود أولا أن أعرب أمامكم للشعب المغربي ولملكه صاحب الجلالة محمد السادس عن عميق امتناني للاستقبال الاستثنائي الذي خصني به المغرب. ففرنسا بأسرها هي التي تكرمت بهذا الاستقبال، والصداقة بين بلدينا هي التي تجد نفسها مرة أخرى موضع احتفاء باهر.

احتفظت في قلبي بالذكرى الطيبة لزيارة الدولة التي قمت بها للمغرب في يوليو 1995 وكانت الأولى في رئاستي الأولى. أذكر ببالغ التأثر الحفاوة الاستثنائية التي غمرني بها المغفور له جلالة الملك الحسن الثاني. واليوم نجدنا أمام الحرارة نفسها والبهجة نفسها في اللقاء والقرب نفسه للقلوب والعقول والقناعة نفسها بأن لا شيء بين بلدينا يمكن أن يكون عاديا أو عارضا. ونجد في ما يتخطى الزمن والحركات الكبيرة التي تهز العالم أن هناك الصداقة الفريدة والتي لا تمس بين المغرب وفرنسا.

إنه شعور وإنها قناعة تعززهما، سيداتي وسادتي، دعوتكم لي كي أخاطبكم أنتم ممثلي الشعب المغربي. إنها المرة الأولى التي يتشرف بها رئيس للجمهورية الفرنسية بالتحدث من على منبركم. وهذا في لحظة معينة من الزمن، وفي الوقت الذي ينتهج فيه بلدكم بقيادة عاهله الحكيمة تحولا سياسيا واجتماعيا لم يسبق له مثيل.

السيدات والسادة أعضاء البرلمان،

للمغرب وفرنسا تاريخ مشترك. لقد كان لنا وجود على أرضكم عندما انطلقنا كأمم أوربية أخرى في حركة التوسع الاستعماري. ثم جاء الكفاح من أجل الاستقلال الذي قاده ذلك العاهل الكبير والنبيل جلالة الملك محمد الخامس بذكاء وعزة نفس لا يضاهيهما سوى العزم والإصرار. كانت تلك المواجهة طويلة ومعقدة، استعاد على إثرها المغرب السيطرة على مصيره ولكن دون أن تنال المرارة وروح الانتقام من الجوهر والأساس.

منذ عام 1956 نجحنا في بناء علاقة مميزة تستلهم من الاحترام المتبادل وإرادة التفاهم وروح الشراكة، علاقة قائمة أيضا على المحبة التي نكنها نحن الفرنسيون الذين أثر فينا بلدكم بالصميم لهذه الأرض الرائعة ولرجالها الآلف ونسائها الشجاعات. هذه العلاقة قد شق طريقها أسلافكم عندما ذهبوا إلى أرض فرنسا لمحاربة الهمجية وضحوا بحياتهم باسم الحرية. أود هنا أن أحيي جميع أولئك المناضلين، خيالة القوم والقناصة والفرسان السباهيين الذين خطوا صفحة من أجمل الصفحات المجيدة في تاريخنا المشترك.

أتيت إليكم إذا كصديق للمغرب وباسم الشعب الفرنسي شقيق الشعب المغربي، لأعبر لكم عن قناعتي

وأقدم لكم دعم فرنسا على الدرب الذي اختاره المغرب لنفسه.

إن مجلسكم الذي يضم نساء ورجالا حريصين على المصلحة العامة ومؤتمنين على الشرعية التي تمنحهم إياها الانتخابات العامة هو أيضا دلالة عن زمن جديد.

لقد كانت انتخابات 2002 التي جرت بكل شفافية الدليل على أن الديمقراطية تُستأهل وتُكتسب من خلال العزم على تخطي العقبات التي تعترض طريق الإصلاح.

أحيي إرادة صاحب الجلالة الملك محمد السادس الذي قام بشجاعة - مستندا إلى مآثر والده العظيم صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، وإلى الدستور المغربي – بفتح صفحة جديدة من تاريخ عريق، تاريخ بلدكم العظيم.

هذا الدرب الجديد استثنائي على أكثر من صعيد. فهو يضع أسس بناء واعد لن يدهش إلا الذين لا يعرفونكم. تاريخكم يزخر بالحقب الحاسمة الغنية بالمبادلات وبالمواجهات أحيانا، في مدن الإمبراطوريات وفي جبال الأطلس وفي المساحات الصحراوية، لطالما تعرضتم لرياح التغيير وللمعارك السياسية. إنكم لا تكتشفون فكرة الديمقراطية، إنكم تمارسونها وتعيدون اختراعها باستمرار لأن إرثكم البربري والعربي والأندلسي والأفريقي يعطيكم ثقافة فطرية في التعددية. الديمقراطية طبعت بطابعها مسيرتكم التي واكبتها منذ القدم شخصيات عظيمة، يتبادر إلى ذهني، بطبيعة الحال السلطان محمد الخامس، وأيضا كبار شخصيات الحركة الوطنية، لهذه الوجوه التاريخية اليوم، ورثتها الذين يحركون حياتكم السياسية وهمهم المسؤولية الجماعية الموجهة نحو السلام المدني والحوار.

فمنذ الدستور الأول الذي عقب الاستقلال، مُنعت أحادية الحزب وعُززت الحريات الأساسية وشُجعت المبادرة الفردية. لابد لنا اليوم من أن نحيي شجاعة صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني وبعد نظره اللذين ألهماه اختيارا كان في ذلك الوقت غريبا وسباقا. تضاف الآن إلى هذا التقليد روح المواطنة وإرادة التقدم جماعيا نحو الإصلاح، أحيي التزامكم وحرصكم على التوافق الذي أتاح تحقيق الانتقال دون صدمات في ظل احترام أفكار كل فرد ونضاله.

أنا أحمل دعم فرنسا لهذا التطور الذي يعكس ثقتكم بأنفسكم وبالمستقبل. إن التعبير الحر عن رؤية قومية مشتركة مستندة إلى هوية قوية هو أفضل رد يقدمه بلد ما لمستلزمات تحوله الداخلي ولتحديات عالم يتغير.

ويسعدني في مطلع هذا القرن، حيث تتمزق أمم كثيرة، أن يعطي المغرب مثال البلد ذي التقاليد الراسخة، تقاليد جبلها، في آن معا، الإسلام وروح الانفتاح، بلد قادر على التصدي لمحن التجديد بروح الثقة التي يعطيها استقلال المصير. هكذا تستطيع الشعوب، إذ تغرف من معين تاريخها وعبقريتها الوطنية، أن ترفع على أفضل وجه تحدي التكيف والانتقال.

إن المغرب، أرض التسامح والملكية ذات الجذور الشعبية العميقة والأمة الشغوفة بالتقدم، يقدم التكذيب الصارخ للذين يعتبرون أن هناك ثقافات وشعوبا ومناطق عصية على الديمقراطية. الديمقراطية لا تُفرض بمرسوم ولا تستورد لأنها خلق مستمر وجلود وثمرة إرادة مشتركة في تكوين مجتمع جديد وجعله يعيش في العدل والتقدم، وهي تتأصل في قدرة الأذهان على قبول التغيير والاضطلاع به، وتتغذى بالقيم العامة بقدر ما تتغذى بالنظرة الخاصة التي يحملها كل بلد في مرآة تاريخه.

يضطلع المغرب بذلك دون عقد، متميزا بإرادة مزدوجة ثابتة: التحاور مع الغرب والبحث عن الحداثة مع الوفاء للتقاليد.

وبفضل حكمة ملوكه وامتياز نخبه، أقام المغرب علاقة هادئة مع عوالم أخرى وحافظ عليها. بطبيعة الحال لم يتم ذلك دون عنف ولا صدام، إنما استطاع المغرب في نهاية المطاف أن يستبدل أوجه التنافر السائدة في الأمس بوفاق نفيس يتيح لي اليوم أن أتحدث أمامكم بهذه اللغة الفرنسية التي نتقاسمها.

روح الانفتاح هذه وتلك القدرة على استيعاب ما يرد من الخارج نابعتان ولا شك من إرث الأندلس، هذا الفيض المماثل لانبثاق النهضة، والذي نقله منفيون عظام ورحالة كلهم فضول قد نمى لديكم ذلك الميل إلى الجدل اللاهوتي والبحث الرياضي وعلم الطب، والذي يُشكل مساهمة المغرب في الثقافة وفي القيم العالمية. إنه ردكم على أولئك الذين يحاولون أن يثيروا في نزاع لا سكون له، الغرب ضد ذلك المدى الشاسع، من جزر سُنده إلى المغرب، المؤتمن على إرث النبي(صلعم).

إنه ردكم على الذين يحاولون تحريف رسالته الأخوية والسلمية ليجعلوا منها سلاح حرب، هنا بالذات، لا يمكنني أن أؤمن بنزاع الحضارات.

لقد تمكنتم من التوفيق بين إرثكم وضرورات العالم المعاصر. على المجتمع المدني الآن أن يقدم في إطار ديمقراطي مجدد مساهمته في التعبير عن تطلعات كل

فرد وفي بزوغ مواهب الجميع. لقد بدأتم معركة حازمة لتشجيع المساواة بين الرجل والمرأة والوصول إلى المعرفة والصحة ورغد العيش. سمعت بالأمس، هنا بالذات، في هذا المنبر، صاحب الجلالة الملك محمد السادس الذي قدم لكم، بوعي وبشجاعة، إصلاحا سيشكل خطوة كبيرة للمجتمع المغربي. لا يمكن لفرنسا إلا أن تشيد بالحكمة التي صاحبت تصميم هذا الإصلاح وإدارته، لأول مرة في تاريخ الديمقراطية المغربية، سيشاور برلمانكم على موضوع مهم مثل هذا.

إن العمل التشريعي يشكل مصدر معايير حياة الأمم والأوضاع القانونية لمواطنيها. ويستطيع المغرب أن يلهم كل من يحاول أن يعرف كيف يتحقق التعايش المتناغم بين الدين والدولة وبين الدين والدنيا في مجتمع حديث. هنا يكمن جوهر العلاقة بين الشأن السياسي والسلطة الدنيوية والدين. وبالنسبة لفرنسا المتشددة في تعلقها بالعلمنة والتي تأوي جالية مسلمة كبيرة، فإن خبرتكم أساسية. أطلب منكم بالمقابل أن تنظروا أيضا في خبرتنا. ففي عالم يتساءل بقلق عن هجمة التعصب الديني، ستكون معرفتكم في هذا المجال موضوع تأمل وتفكير.

هذا السعي الصعب إلى التوازن، من يعجب أن تكونوا رواده ؟ إن سلالتين من سلالاتكم المجيدة، المرابطون والموحدون، ولدتا في بوتقة متوقدة، بوتقة الصحراء والتبشير. وملكيتكم، رمز وحدة المملكة وسلامتها هي وريثة الرسول (صلعم). إنه لمن الطبيعي أن تقدموا إسهاما تاريخيا في عمل الحداثة هذا، الأساسي لانسجام العالم وسلامه. كونوا جريئين أنتم الشعب الحكيم. لا تسمحوا للتعصب وللانغلاق أن يلجم الضمائر والتصرفات. امضوا قدما في طريق حريتكم.

السيدات والسادة أعضاء البرلمان،

على هذه الأرض المغربية، أفكر أيضا في مجمل العالم العربي المتأثر في روحه وفي عميق إحساسه بمآسي النزاع الفلسطيني الإسرائيلي وبالوضع في العراق. ففيما يتخطى الآلام التي تعيشها المنطقة، تريد فرنسا وأوربا بكل تضامنهما النشط مواكبته على طريق السلام والأمن، طريق الحرية والازدهار. إن الشراكة الأوربية المتوسطية تقرب أقدارنا وتعمق تعاوننا وتضع علاقتنا المتميزة في الديمومة. إنها أفقنا المشترك ومستقبل نساء بلداننا ورجالها.

على هذه الشراكة أن تدعم أيضا بالحوار جهود تعزيز دولة القانون التي تتنامى جنوبي المتوسط من الرباط إلى عمان. سيجد المدى الأوروبي المتوسطي بمجمله كامل معناه في قيم الديمقراطية وحقوق الإنسان في ظل الاحترام المطلق للتقاليد والثقافات الوطنية وازدهارها.

عندما تدعم فرنسا والاتحاد الأوروبي مسعى المغرب في الانفتاح السياسي أو المسارات الانتخابية في المشرق، لا يغيب عن بالهما، من بين أمور أخرى، مستقبل المنطقة بأسرها، إلا أن هذا الجهد لن يؤتي ثماره إلا إذا تبنته القوى الحية في المجتمعات وإذا وجدت هذه الأخيرة في ذاتها إرادة ممارسة حريتها بروح المسؤولية.

السيدات والسادة أعضاء البرلمان،

عندما يتعرض المغرب لضربة تتألم فرنسا معه، في 16 مايو 2003، في الدار البيضاء قتل الإرهاب وجرح الأبرياء من مغاربة وفرنسيين وآخرين. أتوجه إلى الضحايا وعائلاتهم وأقربائهم وإلى الشعب المغربي برمته لأجدد التعبير عن تأثر فرنسا وتضامنها. في ذلك اليوم، اقترفت جريمة بحق المجتمع المغربي وبحق تقاليده وقيمه ومُثُله. في ذلك اليوم، أرادوا قتل الفكرة التي تُكونونها عن أنفسكم ومستقبلكم والمثال الذي تعطونه للعالم.

لقد تعرضتم لتجربة يجتازها غيركم ومنذ زمن بعيد - في أوروبا وفي الجزائر الدولة المجاورة وفي أماكن أخرى - بألم وشجاعة، فجاءت ردة فعلكم رائعة: انتفاضة وطنية ضخمة أظهرت أن المغرب عازم على التصدي. قررتم مكافحة الإرهاب دون هوادة، ولكن دون المساس بالاختيار الديمقراطي لمجتمعكم ودون التغاضي عن حقوق الإنسان. تعرفون أن التصرف خلافا لذلك يعني الدخول في لعبة الخصم. إنني أشارككم تماما خياركم في مكافحة الإرهاب من خلال سياسة حازمة في تفكيك شبكاته، وكذلك من خلال عمل دؤوب في المجتمع بجانب المواطنين، وهو عمل باشرتموه وتدعمه فرنسا على نحو نشط.

هذا ومن ناحية أخرى يجب ألا يجد الإرهاب في انحراف ديني دخيل دوافع ممارساته المشؤومة. لقد ذكر صاحب الجلالة الملك محمد السادس بأن مسيرتكم نحو الديمقراطية الليبرالية المستندة إلى هويتكم الدينية الخاصة ستشكل أفضل مناعة بوجه هجمات أولئك الأعداء المتعصبين وعديمي البصيرة. أؤكد لكم ثقتي بنجاح هذه المعركة وهي ليست معركتكم وحسب، بل معركة الجميع.

السيدات والسادة أعضاء البرلمان،

منذ بداية ولايتكم البرلمانية أنجزتم عملا ضخما، فقد صوتم على القوانين التأسيسية موسعين أعمال أسلافكم، ومنها ما قام به السيد يوسفي الذي حقق في حينه التناوب الناجح الذي يعتبر أول مرحلة من مراحل الإصلاح السياسي. لكن التحديات أمام مجتمعكم ضخمة.

فالشباب كثيرون ومتلهفون على أبواب الحياة النشطة، ولا يطلبون سوى تقديم مساهمتهم في تحول البلاد الذي بوشر به أصلا. إن التنفيذ الشجاع لميثاق التربية، والعمل المنجز بالعمق في قطاع التكوين المهني، سيقودان إلى نجاح الانتقال نحو اقتصاد ذي قيمة مضافة كبيرة، وذلك بفضل تحرير الطاقات والتعبير عن تلك الإمكانيات الكامنة الفريدة التي أتاحت لكم على مر العصور تشييد تراثكم العظيم. إن الحكومة، برئاسة السيد إدريس جطو تتكب بعزم وجدارة على هذه المهمة الشيقة والشاقة.

إن إنجاح الربط بأوروبا، وهو خيار اتخذتموه بكامل المسؤولية، وتصحيح التباينات الاجتماعية وتحديث البنى التحتية تشكل كلها ورش عمل تتطلب الشجاعة والعزم وروح التضحية. لقد اخترتم الاتجاه الصحيح، على هذا الدرب الطويل والمحفوف بالعقبات، الذي يقودكم نحو التنمية المستديمة. وبهذا الصدد، يشكل اتفاق الشراكة المبرم مع الاتحاد الأوربي فرصة مواتية لبلدكم.

إن فرنسا وأوروبا عازمتان على مواكبتكم على هذا الدرب، ثقوا بأنكم لستم وحدكم لمواجهة التحديات والصعوبات، أنتم معنا عند ملتقى إفريقيا وأوروبا، وملتقى البحر الأبيض المتوسط بالمحيط الأطلسي، جزء من أسرة الأمم العصرية المولعة بالسلام والحرية. سنرى معا بزوغ فجر جديد في هذا "المغرب" الذي تلوذ إليه الشمس لترتاح .

سيداتي، سادتي، أشكركم.